كنائس القرى الفلسطينية في قبضة الصهاينة
إقرث، وكفر برعم أنموذجًا

أ.د. شروق محمد أحمد عاشور *

د.فرج الله أحمد يوسف**

الملخص:

يستعرض البحث ما حل بقريتي إقرث، وكفر برعم من إغلاق لكنيستيهما منذ قيام دولة إسرائيل، كما يرصد الانتهاكات المستمرة للقريتين، ويقف البحث عند صمود أهالي القريتين طوال الفترة من سنة ١٩٤٨م وحتى الآن.

وتم طرد أهالي القريتين منذ سنة ١٩٤٨م وتمنع السلطات الإسرائيلية عودتهم إلى ديارهم.

الكلمات الدالة:

الكنائس، إقرث، كفر برعم، جمعية أهالي إقرث، جمعية أهالي كفر برعم، مخيم الجذور، البطريرك ثيوفيليوس، الأمير غازي بن محمد،عطا الله حنا، جبرائيل نداف.

* أستاذ الآثار والفنون القبطية، ورئيس قسم الإرشاد السياحي بأكاديمية المستقبل، مصر

** مستشار بقطاع الآثار والمتاحف بالهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، السعودية
farajyousef@hotmail.com

في فلسطين كانت البشارة، وفيها كان الميلاد، وفي مصر كان الملاذ من جبروت الطاغية، وعاد المسيح إلى مكان مولده وبعث نبيًا لبني إسرائيل لكنهم قتلوه طبقًا لما ورد في الأناجيل الأربعة: (مرقس، ومتى، ولوقا، ويوحنا) التي أجمعت على أن الحكم بالموت على المسيح قد صدر من قبل "قيافا" رئيس كهنة اليهود، وأن اليهود حرضوا الوالي الروماني بيلاطس على صلبه، فقد جاء في إنجيل يوحنا: (فخرج يسوع خارجًا وهو حامل إكليل الشوك وثوب الأرجوان فقال لهم بيلاطس هو ذا الإنسان فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين أصلبه أصلبه قال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لأني لست أجد فيه علة أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله)[١] كما يشير إنجيل يوحنا إلى أن اليهود كان يعدون المسيح نجسًا: (وأخذوا يسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح) .[٢]

وجاء في إنجيل متى: (قال لهم بيلاطس فماذا فعل يسوع الذي يدعى المسيح قال له الجميع ليصلب فقال الوالي وأي شر عمل فكانوا يرددون صراخًا قائلين ليصلب فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا بل بالحربي يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني بريئ من دم هذا البار أبصروا أنتم فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا). [٣]

وروى إنجيل لوقا كيف أصر اليهود على قتل المسيح رغم أن الوالي الروماني بيلاطس لم يكن يريد قتله:

(فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم قد قدمتم إلى هذا الإنسان كمن يفسد الشعب وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشكون به عليه ولا هيرودس أيضًا لأني أرسلتكم إليه وها لا شيء يستحق الموت صنع منه فأنا أودبه وأطلقه) [٤]، ولكن اليهود حسب رواية إنجيل لوقا أصروا على صلب المسيح: (فناداهم أيضًا بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع فصرخوا قائلين أصلبه أصلبه فقال لهم ثالثة فأي شر عمل هذا إني لم أجد فيه علة للموت فأنا أؤدبه وأطلقه فكانوا يلجون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم). [٥]

---

[١] – إنجيل يوحنا ١٩: ٦–٨

[٢] – إنجيل يوحنا ١٨: ٢٨

[٣] – إنجيل متى ٢٧: ٢٢–٢٦

[٤] – إنجيل لوقا ٢٣: ١٣–١٦

[٥] – إنجيل لوقا ٢٢: ٢٠–٢٥

ويتفق إنجيل مرقس مع الأناجيل الأخرى في تحميل اليهود مسؤولية قتل المسيح إذ جاء فيه: (فأجاب بيلاطس أيضًا وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود فصرخوا أصلبه أصلبه فقال لهم بيلاطس وأي شر عمل فازدادوا جدًا صراخًا أصلبه فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم أطلق باراباس وأسلم يسوع بعدما جلده ليصلبوه). [٦]

وفي سنة ١٩٤٨م تأسس في فلسطين الكيان الصهيوني الذي لم يفرق بين مسلم ومسيحي، ولقيت كنائس فلسطين ومساجدها مصير بين الهدم والإغلاق، وتم تهجير العرب مسلمين كانوا أو مسيحيين من قراهم ومدنهم واستولى الصهاينة على الأرض والمقدسات، لكن نفر من الفلسطينيين تمسكوا بالبقاء في بلادهم بالرغم من التهجير والظلم والاضطهاد وظلوا مرابطين على ثرى بلاهم محافظين على مقدساتهم، ونقف في هذا البحث عند قريتي إقرث، وكفر برعم المهجرتين منذ النكبة وقيام الكيان الصهيوني:

إقرت (إقرت) قضاء عكا:

هي قرية عربية فلسطينية مسيحية كانت تابعة لقضاء عكا، وتبعد عن مدينة عكا حوالي ٢٥ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي. كان من المقرر أن تكون جزءاً من الدولة العربية في التقسيم الذي اعتمدته الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧م، إلا أن الصهاينة استولوا عليها خلال حرب ١٩٤٨م، وقد لجأ سكانها جميعاً إلى لبنان وإلى القرى الفلسطينية المجاورة بعد أن طردتهم العصابات الصهيونية بين سنتي ١٩٤٨-١٩٥١م.

يوجد على أرضها الآن مستوطنات صهيونية هي: شومرا التي تأسست سنة ١٩٤٩م، وغورن سنة ١٩٥٠م، وإيفي مناحم ١٩٦٠م، وغورنوت هغليل سنة ١٩٨٠م.

شيدت كنيسة إقرث سنة ١٨٧٥م على أنقاض كنيسة أخرى سبقتها كانت قد بنيت سنة ١٦٣٥م يصل طول الكنيسة إلى١١ متراً وعرضها ٩,٥ متراً تعلوها في مركزها قبة سداسية الشكل قطرها ٢٢٠ سنتمترًا. يرتفع ناقوس الكنيسة فوق زاويتها الجنوبية الغربية. شمل ملك الوقف مبنى الكنيسة وثلاث بيوت على الحائط الشمالي من الكنيسة والأنطش الذي كان مؤلفًا من طابقين وبئر ماء وأرض وقف تصل مساحتها إلى ٨٢٤ دونمًا. [٧]

يذكر وليد الخالدي عن القرية:

---

[٦] – إنجيل مرقس ١٥: ١٢-١٥

[٧] – عمر اغبارية، ورنين جريس: ذاكرة إقرث (القدس ٢٠١٠م)، ص ١٥

(لم يبق من معالمها سوى كنيسة الروم الكاثوليك وهي بناء من الحجارة ذو سطح مستو يعلوه برج مستطيل للجرس، وللكنيسة باب مستطيل مرتفع فوقه قوس مزخرف منقوش في العتبة التي تعلوه وفي الواجهة الرئيسة تشكيلة من الصلبان كل منها في مشكاة ، وصليب فوق القوس، وصليب لاتيني كبير على الباب يحيط به صليبان صغيران على الربعين العلويين من الباب). [٨]

وفي ١٧ أبريل (نيسان) ٢٠١٢م أحتفل أبناء إقرث بعيد الفصح في الكنيسة ورعى الاحتفال الأب سهيل خوري خادم كنيسة إقرت وراعيها، وكان يومًا مشهودًا لأبناء إقرث الصامدين العائدين إلى قريتهم ومقدساتهم بإذن الله. [٩]

وخاض أهالي إقرث نضالاً طويلاً ضد السلطات الصهيونية ما بين سنتي ١٩٧٧ – ١٩٩٥م حتى حصلوا على حق العودة إلى قريتهم بشرط أن يرجع من كل عائلة أب واثنين من أولاده فقط في مساحة لا تتجاوز ٦٠٠ دونم لكن السلطات الصهيونية لم تنفذ هذا الاتفاق، وكل ما حصل عليه أهالي إقرث هو السماح لهم بالصلاة في الكنيسة، ودفن موتاهم في مقبرة القرية. [١٠]

وأصدرت المحكمة العليا في الكيان الصهيوني في مارس ٢٠١٥م قرارًا بتزويد كنيسة إقرث بالتيار الكهربائي، بعد التماس قدمه المحامي جريس عزت فرح، والمحامي يوسف مخلص توما في شهر فبراير ٢٠١٣م بالنيابة عن جمعية أهالي أقرث، وصدر القرار بعد أن استطاع المحاميان إقناع المحكمة في جلسة الاستماع التي عقدت في التاسع من يوليو ٢٠١٤م.

والجدير بالذكر أن جمعية أهالي إقرث قد تأسست في مايو ٢٠٠٩م وتعمل من أجل عودة سكان القرية إلى قريتهم والحفاظ على ممتلكاتهم الفردية والجماعية، وصيانة كنيسة ومقبرة القرية المهجرة منذ النكبة سنة ١٩٤٨م، وتعزيز الروابط الاجتماعية التي تربط أهالي القرية جيلاً بعد جيل.

وقال الدكتور/إبراهيم رزق عطاالله. رئيس لجنة أهالي إقرث: (بعد ما يزيد عن سنتين من ممانعة المجلس الإقليمي في "معاليه يوسف" نجحنا من تحرير مبلغ مخصص من وزارة الداخلية وإخراج مناقصة من المجلس الإقليمي لبناء درج جديد مؤدي إلى المقبرة ومد الإسمنت عند مدخل المقبرة وبناء عريشة ومد الطريق الخاص لذوي الاحتياجات الخاصة وحتى مدخل المقبرة وترميمات أخرى في المقبرة، إن قرار المحكمة العليا القاضي بمد شبكة الكهرباء داخل إقرث وإجراء

---

[٨] – وليد الخالد: كي لا ننسى، قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨م وأسماء شهدائها (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية، بيروت ٢٠٠١م) ص ٤٦٢

[٩] – لجنة أهالي إقرث، ولجنة أهالي كفر برعم، وفلسطينيو ٤٨.

[١٠] – عمر اغبارية ورنين جريس: المرجع السابق، ص ٢٥–٥٥

ترميمات على نفقة وزارة الداخلية هما تأكيدان آخران يضافان إلى كل التأكيدات التي تنص على حقنا بقريتنا، وإن غداً لناظره قريب).[١١]

داهمت دائرة الأراضي في الكيان الصهيوني يوم الخميس الخامس من نوفمبر ٢٠١٥م القرية وصادرت ممتلكات وأغراض وكميات من الأخشاب تعود للمرابطين بالقرية منذ سنوات في مسعى لممارسة حقهم والعودة لبلدتهم، وشهدت القرية المهجرة اعتداءات سافرة وصودرت ممتلكات وأغراض خاصة من القرية.

واتخذ أهالي القرية قرارًا بالعودة وهم عازمون على البقاء ومواصلة نشاطاتهم والصمود حتى تحقيق العودة، وقال عدد من المرابطين في إقرث: (إن هذا السلوك الانتقامي والحاقد الذي يتكرر كل مرة لن يردعنا عن حقنا بالتواصل مع بلدتنا والتواجد على أرضنا وسنواصل نشاط العودة حتى تحقيق هذا الحق العادل والمشروع).[١٢]

في مسعى لنشاط شباب العودة المتواصل في سبيل إحقاق حق العودة إلى قريتهم المهجرة إقرث، اختار الشباب يوم الثلاثاء الثامن من ديسمبر ٢٠١٥م أن يحتفلوا بعيد الميلاد المجيد على طريقتهم المفعمة بالحنين والتوق للعودة إلى أحضان بلدتهم المنتصبة على قمم جبال الجليل الأعلى والتي اقتلع أهلها في عام النكبة ١٩٤٨م.

وأكد شباب العودة تصميمهم على: (مواصلة نشاط العودة منذ سنوات بالرغم الملاحقة المتواصلة من الدوائر والمؤسسات الإسرائيلية القمعية، وأن انتصاب شجرة الميلاد بالمكان بكل ما تعني من التفاؤل والأمل قبالة كنيسة البلدة التي تنتظر عودة كهنتها وأهلها لتصدح تراتيل الصباح وتقرع أجراس العودة رغم ملاحقة الدوائر).

وعيد الميلاد في إقرث هو مناسبة سعيدة فيها كل أهل البلدة يأتون إلى القرية المهجرة للاحتفال بالعيد وبوحدة أهل البلدة. ولكنه أيضا يوم يتذكروا فيه هدم بيوت البلدة سنة ١٩٥١م لتبقى الكنيسة واقفة لوحدها تشهد على الآثار.

وقام الشبّان ممّن هجّر أجدادهم من قرية إقرث، بالرجوع إلى أرضهم حيث عمرّوا البيوت الخاوية إلى جانب الكنيسة، الشاهد الوحيد على نكبتهم، وقاموا يوم الجمعة ١١ ديسمبر ٢٠١٥م قام الشبّان بإضاءة شجرة الميلاد التي تكتسب رمزيّة خاصة في قلوب الأهالي كونَ القرية قد هدمت أثناء قدّاس العيد.[١٣]

---

[١١] – عرب ٤٨

[١٢] – عرب ٤٨

[١٣] – عرب ٤٨

وفي يوم السبت ١٣ أغسطس ٢٠١٦م احتفل أبناء القرية باختتام مخيم (الجذور الحادي والعشرين) في القرية بحضور العشرات من الأهالي والأطفال القادمين من بقاع متعددة من البلاد، الذين أعادوا رسم العودة واقعًا فرحًا، بعد أن هُجروا قسرًا منها.

المخيم الذي أشرف على إدارته والقيام عليه عشرات المتطوعين والمرشدين من أبناء البلدة، استمرّ على مدار خمسة أيام، قدّم خلالها فعاليّات ترسّخ الهُوية الفلسطينية، وتاريخ إقرث.

وقال المشرف على برنامج المخيم هيثم سبيت: (مخيم الجذور أنهى عامه الـ٢١، بعد أن جمع أجيالا متعاقبة، فأنا مذ كان عمري ٦ سنوات أشارك بالمخيم وقد نشأتُ على مخيم الجذور منذ تلك اللحظة حتى اليوم، وها أنا اليوم أبلغ من العمر ٢٧ عامًا، وقد أصبحنا نحن الأطفال بالأمس جزءا من الإدارة والتنظيم والإرشاد اليوم... احتوى المخيم هذا العام الجيل الرابع بعد النكبة، الهدف من هذا المخيم هو تقريب أهالي إقرث من بعضهم البعض، والحفاظ على شبكة اجتماعية تواصلية لأهالي إقرث، كونهم بعد النكبة تشتتوا في البلاد المختلفة، فكي لا تضيع العلاقة الطيبة بين أهالي البلدة، يحاول هذا المخيم إعادة أواصر العلاقات والحفاظ عليها، وهناك علاقة متينة لامسناها مذ كنا صغارًا، وترعرعنا عليها، فأهالي إقرث يحبون ويخافون على بعضهم البعض، وهذا هو هدف المخيّم).

وعن أهداف المخيم قال: (تعزيز الهوية والانتماء لإقرث، وهي أساسية للمخيم، أن يصبح كل طفل واعٍ لتاريخه وماذا حصل مع أجداده. المخيم احتضن ٨٠ طفلا، ومع طاقم العمل كنّا ما يقارب ١٢٠ شخصًا، الأطفال تفاعلوا بشكل عميق مع الفعاليات، خاصةً أنّهم جميعًا من أبناء إقرث المهجرة، لامسوا القضية في بيوتهم وحياتهم، رغم أنّهم في جيل الصف الأول، الثاني والثالث، فهم يكونون وعيهم، عدا عن تحفيز الأطفال على الانتماء والحفاظ على إقرث عن طريق بلورة الهمّ الجماعي).

ويختم المشرف على برنامج المخيم بقوله: (صقل المخيم مجموعة شبّان ترعرعت به، ومن هنا انطلقت نواة لإعادة إحياء إقرث والسكن بها، وها نحن أبناء المخيم ١٥ شابًا، نسكن في إقرث اليوم منذ ٤ سنوات، خلال هذه الفترة لم نترك إقرث خالية ولو لدقيقة واحدة، وهذه العودة نتاج مشاريع ومخيمات ترعرعنا بها، وهدفنا السير وإكمال هذه المسيرة التي بدأنا بها).[١٤]

[١٤] – عرب ٤٨

قرية كفر برعم قضاء صفد:

بعد النكبة وقيام الكيان الصهيوني تم تهجير أهالي قرية كفر برعم واستولت على القرية منظمة صهيونية تعرف باسم (هشومر هتسعير، الحارس الفتى)، وأقام أعضاء المنظمة الصهيونية في منازل القرية، كما أنشئت على أرضها مستعمرة دوفيف سنة ١٩٦٣م. **(الخالدي ١٩٦٣: ٣٥٩)**

ويذكر وليد الخالدي عنها:

(كان سكانها في معظمهم من المسيحيين، والمبنى الوحيد الذي لا يزال قائمًا من القرية هو مبنى الكنيسة).[١٥]

بدعوة من لجنة أهالي قرية كفر برعم، ولجنة قرية إقرث (القريتين المهجرتين منذ سنة ١٩٤٨م) جرت في الرابع من أغسطس ٢٠١٢م تظاهرة شعبية حاشدة شارك بها المئات تأييدًا لمطلب الأهالي المتواصل دون انقطاع منذ أكثر من ٦٤ سنة بالعودة إلى قريتيهما اللتين هــُجرّا منهما بوعد رسمي بالعودة بعد أسبوعين الأمر الذي لم تنفذه الحكومات والمحاكم الصهيونية حتى اليوم. وقد شارك في التظاهرة بالإضافة إلى أهالي القريتين عدد كبير من المؤيدين والمتضامنين مع قضية المهجرين، وعدد من أعضاء الكنيست العرب.

واجتمع المتظاهرون في ساحة عامة حيث ألقيت كلمات عدة ومنها: كلمة الدكتور إبراهيم عطاالله رئيس لجنة أهالي إقرث، والمطران عطاالله حنا، وأعضاء الكنيست: د.حنا سويد، ود.جمال زحالقة، والأستاذ/أيمن عودة، والأب يوسف يعقوب، والأب سهيل خوري، والسيد/خيراردو ليبو، والسيد/إلياس جريس رئيس لجنة أهالي كفر برعم.

وقد حيّا المتحدثون صمود أهالي القريتين على مدى أكثر من ستة عقود، وألقوا باللوم الشديد على سياسة الحكومات الصهيونية المتعاقبة على إصرارها المتواصل بعدم السماح بعودة المهجرين، بالرغم من اعترافها بحقهم، وبالرغم من قرارات المحكمة العليا في الكيان الصهيوني بهذا الشأن، كذلك دعوا إلى مواصلة النضال من أجل عودة المهجرين وأعربوا عن استمرار دعمهم السياسي والمعنوي والشعبي في هذا المجال.

كفر برعم: قرية عربية فلسطينية مسيحية أمر سكانها في ١٩٤٨م بمغادرتها لمدة أسبوعين. وحتى الآن ما زالوا مهجّرين في وطنهم. وقد صودرت أراضيهم ودُمرت قريتهم سنة ١٩٥٣م. وما زالت السلطات الإسرائيلية تُصر على منع المهجّرين من العودة إلى قريتهم وأراضيهم.

---

[١٥] – وليد الخالدي: المرجع السابق، ص ٣٦٠

كان عدد بلغ عدد سكانها سنة ١٩٤٨م ١٠٥٠ نسمة. ويبلغ عددهم الآن حوالي ٣٠٠٠ نسمة، مهجرين في: قرية الجش، ومدينة حيفا، ومدينة عكا، وقرية المكر، ومدينة الناصرة، ومدينة القدس، وبلغت مساحة أراضي كفر برعم في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين ١٢٢٥٠ دونمًا، (منها حوالي ١٢٠٠ دونم وقف لكنيسة السيدة في كفربرعم). وقد صادرتها حكومة إسرائيل سنة ١٩٥٣م. وتستعمل المستوطنات الصهيونية القائمة عليها (موشاف دوفيف) والمجاورة لها (كيبوتس برعام، وكيبوتس ساسا، القائم على أراضي قرية سعسع العربية المدمرة) أقل من ٢٠٠٠ دونم للبناء وللزراعة، وما تبقى (١٠٢٥٠ دونم) فقد تحوّل إلى أراضٍ وعرية شائكة، ويُستعمل رسميًا كمراع لأبقار المستوطنات.

في فبراير ٢٠٠٢م وبعد سنوات من النضال أمام المحاكم ومواجهة الحكومات الصهيونية المتعاقبة اقترحت الحكومة الصهيونية دفع تعويضات مالية للمهجرين مقابل أراضيهم (٥٦٠ ألف شاقل لدونم البناء). وقد رفض مهجرو كفر برعم، وأكدوا أن لا بديل لحقهم في العودة إلى قريتهم وأراضيهم وبيوتهم المدمرة.[١٦]

مقبرة كفر برعم: تعود بداية استعمال المقبرة الحالية إلى سنة ١٩٠٣م، وكان فارس حنا فرحات أول مـَن دُفن فيها في العاشر من يناير (كانون الثاني) ١٩٠٣م، بقيت مساحة المقبرة على حالها كما كانت حتى سنة ١٩٤٨م عندما هـُجـّر أبناء كفر برعم، وقد منعت السلطات العسكرية منذ ذلك التاريخ أبناء كفر برعم من الوصول إلى المقبرة ودفن أمواتهم فيها، ولذا تمّ دفنهم في أماكن تواجدهم وخاصة في مقبرة قرية الجش.

بعد حرب ١٩٦٧م عاود الأهالي المهجرين داخل الوطن، دفن أمواتهم في مقبرة كفر برعم، وفي بعض الحالات تمّ نقل ودفن جثامين بعض المتوفين من مهجـّري كفر برعم الذين وافتهم المنية خارج الوطن ليدفنوا في التراب الذي سبقهم إليه أبائهم وأجدادهم.

تزايدت مساحة المقبرة منذ ١٩٦٧م وحتى اليوم قرابة أربعة أضعاف ما كانت عليه قبل التهجير، وقد كانت وما تزال كل عملية توسـيع بمساحتها مقرونة بأخذ وردّ مع دائرة الآثار ودائرة الأراضي في الكيان الصهيوني، حيث أن الأراضي الواقعة حولها تعتبر مصادرة بنظر القانون.

بالرغم من وقوعها بجانب شارع رئيسي تتعرض القبور فيها من مرة إلى أخرى لعمليات تخريب وتدنيس، ولم تفلح الشرطة حتى الآن بوضع يدها على الجناة.

---

[١٦] – لجنة أهالي كفر برعم

استنكرت لجنة (أهالي كفر برعم) الاعتداء الذي وصفته بالآثم على مدافن القرية وكنيستها للمرة السابعة على التوالي ووقع الاعتداء الأخير في السادس عشر من أبريل ٢٠١٥م، وتم خلاله تحطيم القبور وتخريبها.[١٧]

وقالت اللجنة في بيان لها إن الاعتداء على المدافن والكنيسة ما زال مستمرًا، وفي كل مرة تقدم شكوى إلى شرطة صفد، وفي كل مرة تصل الشرطة وتفحص وترفع البصمات، ويعد الاعتداء الأخير هو الأعنف والأكثر إضرارًا من سابقيه حيث بلغ عدد القبور التي حطمت عشرين قبرًا، وجاء في البيان أن اللجنة تقدمت بطلبات إلى إدارة الأراضي، وإدارة الحدائق العامة في الكيان الصهيوني من أجل تمكين اللجنة من القيام بحراسة المقبرة والكنيسة من الاعتداءات الصهيونية المتواصلة.[١٨]

شارك عدد من أهالي قرية كفر برعم المهجرة يوم الأحد ٢٠ مارس ٢٠١٦م في كنيسة السيدة العذراء بأحد الشعانين، وحضر إلى القرية المهجرة أهلها من مختلف أنحاء البلاد ليحتفلوا على أرضها داعين الله أن يتحقق حق عودتهم إلى قريتهم التي هجروا منها منذ عام ١٩٤٨م.

وقرع الأهالي جرس الكنيسة محتفلين بدخول السيد المسيح عليه السلام إلى القدس معلنين بدء القداس الاحتفالي والذي ترأسه قدس الأب سامر زكنون وبمشاركة جوقة الكنيسة، وتخلل القداس مسيرة في شوارع القرية المهدمة، وتجدر الإشارة أن أهالي كفر برعم يحيون في كل عام صلاة الشعانين والفصح في قريتهم المهجرة، على أمل أن تتحقق عودتهم إلى قريتهم قريبًا. [١٩]

وفي يوم السبت ١٣ أغسطس ٢٠١٦م احتفل أبناء قرية إقرث المهجرة باختتام مخيم (الجذور الحادي والعشرين) في القرية بحضور العشرات من الأهالي والأطفال القادمين من بقاع متعددة من البلاد، الذين أعادوا رسم العودة واقعًا فرحًا، بعد أن هُجروا قسرًا منها.

المخيم الذي أشرف على إدارته والقيام عليه عشرات المتطوعين والمرشدين من أبناء البلدة، استمرّ على مدار خمسة أيام، قدّم خلالها فعاليّات ترسّخ الهُوية الفلسطينية، وتاريخ إقرث.

وقال المشرف على برنامج المخيم هيثم سبيت: (مخيم الجذور أنهى عامه الـ٢١، بعد أن جمع أجيالا متعاقبة، فأنا مذ كان عمري ٦ سنوات أشارك بالمخيم وقد نشأتُ على مخيم الجذور منذ تلك اللحظة حتى اليوم، وها أنا اليوم أبلغ من العمر ٢٧

---

[١٧] – لجنة أهالي كفر برعم

[١٨] – فلسطينيو ٤٨

[١٩] – عرب ٤٨

عامًا، وقد أصبحنا نحن الأطفال بالأمس جزءا من الإدارة والتنظيم والإرشاد اليوم... احتوى المخيم هذا العام الجيل الرابع بعد النكبة، الهدف من هذا المخيم هو تقريب أهالي إقرث من بعضهم البعض، والحفاظ على شبكة اجتماعية تواصلية لأهالي إقرث، كونهم بعد النكبة تشتتوا في البلاد المختلفة، فكي لا تضيع العلاقة الطيبة بين أهالي البلدة، يحاول هذا المخيم إعادة أواصر العلاقات والحفاظ عليها، وهناك علاقة متينة لامسناها مذ كنا صغارًا، وترعرعنا عليها، فأهالي إقرث يحبون ويخافون على بعضهم البعض، وهذا هو هدف المخيّم).

وعن أهداف المخيم قال: (تعزيز الهوية والانتماء لإقرث، وهي أساسية للمخيم، أن يصبح كل طفل واعٍ لتاريخه وماذا حصل مع أجداده. المخيم احتضن ٨٠ طفلا، ومع طاقم العمل كنّا ما يقارب ١٢٠ شخصًا، الأطفال تفاعلوا بشكل عميق مع الفعاليات، خاصةً أنّهم جميعًا من أبناء إقرث المهجرة، لامسوا القضية في بيوتهم وحياتهم، رغم أنّهم في جيل الصف الأول، الثاني والثالث، فهم يكونون وعيهم، عدا عن تحفيز الأطفال على الانتماء والحفاظ على إقرث عن طريق بلورة الهمّ الجماعي).

ويختم المشرف على برنامج المخيم بقوله: (صقل المخيم مجموعة شبّان ترعرعت به، ومن هنا انطلقت نواة لإعادة إحياء إقرث والسكن بها، وها نحن أبناء المخيم ١٥ شابًا، نسكن في إقرث اليوم منذ ٤ سنوات، خلال هذه الفترة لم نترك إقرث خالية ولو لدقيقة واحدة، وهذه العودة نتاج مشاريع ومخيمات ترعرعنا بها، وهدفنا السير وإكمال هذه المسيرة التي بدأنا بها). [٢٠]

وتواصل السلطات الصهيونية عمليات الاعتداء والتجريف والهدم وملاحقة أهالي كفر برعم المهجرة في مسعى منها للإجهاز على ما تبقى من معالم فلسطينية في قريتهم المهجرة، والعمل على تحويل البلدة إلى موقع سياحي أثري.

وشهدت القرية في أكتوبر ٢٠١٦م عمليات تجريف واعتداء على الممتلكات وشق شوارع ومسارات سياحية الأمر الذي أثار غضب وقلق أهالي كفر برعم الذين يقطنون في البلدات المجاورة وينتظرون العودة لبلدتهم التي اقتلعوا منها في العام ١٩٥٣م.

واستعرض عضو لجنة مهجري كفر برعم. رياض غنطوس، مسلسل العبث في قريته كفر برعم المهجرة، وقال لـ(عرب ٤٨): (إن عمليات طمس المعالم والتنكر للرواية والحقيقة التاريخية اتخذت وتتخذ أشكالا وأساليب مختلفة وتحت ذرائع وحجج باتت مفضوحة ومعروفة للصغير قبل الكبير ... ما يحدث من عمليات

[٢٠] – عرب ٤٨

تجريف في هذه الأيام هو استمرار للعمل الذي باشروا به منذ ثلاثة أشهر، وكنت قد توجهت للدوائر المسئولة عن هذا العمل وادعوا أن هذه المشاريع تجري وفقا لطلب مؤسسة التأمين بحجة شق طرق وتوسعة المكان ليتسنى للمعاقين الوصول إلى داخل البلدة وأن هذه المشاريع ممولة من مؤسسة التأمين، حسب ادعاءاتهم الواهية، ونحن نعلم أن حقيقة هذا العمل يأتي بدافع طمس المعالم وإخفاء الحقائق، وهناك تجارب سابقة بعد أن حولوا المعبد الروماني في القرية والمعروف أنه مقام منذ القرن الأول في عهد الرومان وهم يدعون أنه معبد وكنيس لليهود، وهي ادعاءات كاذبة ومنافية للحقيقة التاريخية المعروفة، لكن رغم ذلك فإن ما يجري لن يمنعنا من متابعة معركتنا من أجل حق العودة إلى قريتنا).

وقالت الناشطة آية غنطوس، لـــ(عرب ٤٨) :(نحن جيل بات يعرف ويعي حقه في العودة، وما يجري من تجريف وتهويد للمكان محاولة لتيئيس شباب العودة، وكل ذلك لن يثنينا عن مواصلة طريق العودة من خلال متابعة التواصل مع بلدتنا التي اقتلعنا منها عن طريق العمل والتوعية المستمرة والتصميم على حقنا .. نحن شباب العودة سنفتتح بعد غد الجمعة (١٤ أكتوبر ٢٠١٦م) مخيم العودة السنوي على أرض كفر برعم، وسنقيم ورشات العمل مع شباب العودة وأهالي البلدة مع علمنا بالصعوبات والعقبات التي قد تواجهنا من الدوائر التي تعمل حاليا هناك بهدف سد الطريق على شباب العودة وتصميمهم على العمل في التنظيف والترميم والبرامج التوعوية) .

وقال الناشط عساف سمير لـــ (عرب ٤٨): (سبق وأن نظمنا مخيم الجذور في ظروف صعبة، وكنا نتعرض لمضايقات واعتداءات على أملاكنا ومصادرة الأغراض الخاصة بنا، لكن أعتقد أن ترسخت فكرة المخيم التطوعي الذي يستقطب أعدادا متزايدة من أهالي البلدة كل عام، ورغم عمليات التجريف التي تقوم بها الدوائر الآن فإننا عازمون على إقامة المخيم بالزمان والمكان المقررين، في حين لا نستبعد تزايد عمليات التضييق ومنعنا من ذلك، لكن لا عودة عن إقامة المخيم كما لا رجعة عن حق العودة)[٢١].

وشدد عضو لجنة الدفاع عن حقوق المهجرين، محمد كيال، على التمسك بحق العودة مهما اشتدت أساليب السلطة في محاولة سد الطرق، وقال لـــ (عرب ٤٨) نحن في الجمعية نرى بهذه الأعمال أنها محاولات لتيئيس المهجرين من إمكانية تحقيق العودة، ومنذ عشرات السنين وحتى أيامنا هذه تسعى السلطات الإسرائيلية وأذرعها إلى طمس معالم القرى والمدن المهجرة. ما تقوم به السلطات في كفر برعم جزء لا يتجزأ من السياسة الممنهجة لطمس معالم هذه البلدات وتكريس

[٢١] – عرب ٤٨

الاستيلاء على أملاك المهجرين ومقدراتهم وتهويدها، ونحن مثل أهالي كفر برعم نرفض ونستنكر ما يجري على أراضيهم ونرى أن الحل بدلا من القيام بمثل هذه الأعمال العدائية عليهم إتاحة الفرصة لأهالي البلدة وتمكينهم من العودة، وهم أولى بإعادة بناء قراهم وتطويرها لردم هذا الغبن التاريخ).[٢٢]

الكنيسة الأرثوذكسية وبيع الأوقاف المسيحية للصهاينة:

دأبت الكنيسة على بيع الأراضي المملوكة لها للصهاينة خاصة في القدس بقسميها الغربي والشرقي، ومن المباني التي شيدت على أراض مشتراة أو مؤجرة لسنوات طويلة من الكنيسة الأرثوذكسية: (الكنيست الصهيوني، ومقر رؤساء الكيان الصهيوني)، وفي الوقت نفسه تقوم الكنيسة التي يسيطر عليها القساوسة اليونانيين بإبعاد القساوسة العرب من المناصب العليا، وفي سنة ٢٠٠٢م أيرينيوس الأول اختير بطريركًا للكنيسة الأرثوذكسية.

وفي مارس ٢٠٠٥م أقدم أحد مساعدي أيرينيوس الأول على بيع أراض تملكها الكنيسة الأرثوذكسية في القدس إلى شركة تتبع منظمة عطيرت كوهنيم الصهيونية، وعلق مروان طوباسي عضو المجلس المركزي لكنيسة الروم الأرثوذكس على عملية البيع بقوله: (هذه أراض فلسطينية وليست في كريت أو اليونان).

وفي عددها الصادر في ٢٩ أبريل ٢٠٠٥م نشرت صحيفة معاريف صورة الاتفاق الذي أبرمه المسئول الملي في الكنيسة الأرثوذكسية بالقدس نيكولاس بابا ديموس مع محامي الشركة الصهيونية في ١٦ أغسطس ٢٠٠٤م، ومن ضمن وثائق الاتفاق توكيل يسمح بموجبه أيرينيوس الأول لبابا ديموس بإبرام الصفقة وتأجير فندقي إمبريال والبتراء الواقعين في ميدان عمر بن الخطاب بباب الخليل والمباني المجاورة لهما إلى الشركة الصهيونية لمدة ١٩٨ سنة، والتوكيل موثق لدى مكتب المحامي الصهيوني يعقوب ميرون وقد صدر في يونيو ٢٠٠٤م.

وتفاعلت الأزمة وفقد معها أيرينيوس الأول كرسيه، وتم انتخاب ثيوفيلوس الثالث بدلاً منه، لكن سلطات الكيان الصهيوني لم تعترف به فقدم التماسًا إلى المحكمة العليا الصهيونية، لكن السلطات الصهيونية اشترطت تصديقه على الصفقة للاعتراف به.[٢٣]

---

[٢٢] – عرب ٤٨

[٢٣] – شروق محمد أحمد عاشور، وفرج الله أحمد يوسف: المقدسات والأوقاف المسيحية في فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني (كتاب المؤتمر السابع عشر لاتحاد الآثاريين العرب، القاهرة ٢٠١٤م)

فرج الله أحمد يوسف: اغتصاب تاريخ فلسطين وآثارها (كتاب المؤتمر الثامن لاتحاد الآثاريين العرب، القاهرة ٢٠٠٥م)، ص ٦٨٢-٦٨٣

سار البطريرك ثيوفيلوس الثالث على نهج سلفه مما حدا بالعرب الأرثوذكس في فلسطين إلى عقد اجتماع في عمان في مايو ٢٠٠٧م ووجهوا في نهاية الاجتماع رسالة إلى ملك الأردن عبدالله الثاني، والرئيس الفلسطيني محمود عباس يناشدونهما التدخل من أجل إنقاذ أوقاف الكنيسة، ومما جاء في البيان: (مر عامان على انتخاب غبطة البطريرك ثيوفيلوس الثالث وقد علقنا عليه آمالا كبيرة لتصويب الأمور داخل البطريركية المقدسية، ولكن لم يقم بتنفيذ أي شيء وأنه لا يلتفت إلى أمور الرعية، والله وحده يعلم بما يحدث بأوقاف الكنيسة وأملاكها)، وطالب البيان بأن يقوم البطريرك جرد فوري وكامل لأوقاف الكنيسة في القدس، وعزل المحامي رامي المغربي من موقعه ومن كافة مسؤولياته داخل البطريركية، لعلاقاته المشبوهة مع المؤسسات الاستيطانية الصهيونية وخاصة مؤسسة عطيرت كوهنيم.

ويقود الأمير غازي بن محمد مستشار الملك عبدالله الثاني ملك المملكة الأردنية الهاشمية تحركًا يهدف للحفاظ على أملاك الكنيسة الأرثوذكسية وأوقافها، ومن أجل ذلك تقدم بطلب إلى البطريرك ثيوفيلوس الثالث بمنع تأجير أية أراض أو عقارات للصهاينة وإبلاغ الأردن بمواعيد انتهاء اتفاقيات الإيجار المبرمة مع الكيان الصهيوني، وقد أثار هذا التحرك السلطات الصهيونية فوصفته صحيفة هأرتس بـــ(حملات الأردن الصليبية)، وقالت بأن الأمير محمد أعد خطة للسيطرة على مساحات واسعة من الأراضي في فلسطين.

اتهمت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الأرثوذكسي في فلسطين البطريرك ثيوفيلوس، والبطريركية الأرثوذكسية المقدسية بالمساهمة في تهويد القدس، والتفريط بالمزيد من ألأرض المحاذية لدير مار إلياس. وطالبت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الأرثوذكسي البطريرك ثيوفيلوس بإلغاء الصفقات والاجتماع بها للتداول بالأمر، وطالبته بتنفيذ تعهداته الخطية للعرب الأرثوذكس، وقالت اللجنة في بيان صدر في الثامن من أغسطس ٢٠٠٩م: (أنه نتيجة للصراع الذي وصل إلى أروقة المحاكم، بين شركتي "بارا"، "تلبيوت الجديدة" اليهوديتين الإسرائيليتين حول مَن لها الأحقيّة بنهش أوقاف الطائفة العربية ألأرثوذكسية وأملاكها تمّ كشف حقيقة التفريط بأرض وقفية من قِبل البطريركية المقدسية محاذية لمنطقة دير مار إلياس في القدس على الطريق الواصل بين بيت لحم والقدس . وكان البطريرك السابق إيرينيوس وقع صفقة بتاريخ الرابع عشر من ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٧م مع شركة "بارا" يمنحها حقّ إدارة أملاك للبطريركية بحرية مطلق، بما فيها المُلك المذكور وهو معزول ومحاصر ... أما البطريرك الحالي ثيوفيلوس والذي يدّعي على لسان الناطقين الرسميين باسمه ومحاميه أنه يسترجع الأملاك من المستوطنين ويلغي مصادرات وصفقات وقعّها سابقه إيرينيوس بحجة عدم شرعيته فقد سارع إلى توقيع صفقة على الأرض ذاتها مع شركة "تلبيوت الجديدة".. أما الصفقات فقد جرت بالسابق وهي مستمرة اليوم

وبوتيرة تصاعدية وفي منطقة القدس بالذات – في باب الخليل، والطالبية، ورحافيا، والشماعة، ومنطقة سكة القطار، ومنطقة فندق الملك داود، والأنصاري وغيرها وصولا إلى مار إلياس، وأبوغنيم. الأمر الذي يصبّ مباشرة لصالح مخطط استكمال تهويد القدس العربية... وكل ذلك في إطار مخطط تصفية أوقاف الطائفة وأملاكها بموافقة قيادتها الروحية مقابل" ثلاثين من الفضة" لا تذهب طبعًا لصالح الرعية. بل لا تعلم الرعية ومؤسساتها العلمانية أصلا بهذه الصفقات إلا صدفة، ولا يعقل استمرار الراعي بالتفريط بأملاك الرعية).[٢٤]

وأكد البيان أن البطريك ثيوفيلوس وقع هذه الصفقة بتاريخ الثامن والعشرين من أبريل ٢٠٠٩م، والجدير بالذكر أن شركة "تلبيوت الجديدة" جرى تأسيسها يوم السابع والعشرين من أبريل ٢٠٠٩م.

قامت الكنيسة في ١٠ مارس ٢٠١١م ببيع كامل الأوقاف المسيحية في ٨٥ قطعة أرض بالقدس في أحياء الطالبية، ومنطقة حديقة الجرس، ومتحف إسرائيل، والكنيس الكبير، ومحطة القطار، ومنطقة أبراج ولفسن.[٢٥]

وفي ديسمبر ٢٠١٢م أدانت المحكمة المركزية في القدس الغربية رجل أعمال صهيوني بعدة تهم فساد تتعلق بالاستيلاء على أراض تابعة للبطريركية الأرثوذكسية في القدس الغربية، وتبين من قرار المحكمة أن الرجل قام بعمليات تزوير مستندات ووثائق تمنح الصهاينة في عدد من أحياء القدس الغربية فرصة استئجار الأرض التابعة لأوقاف الكنيسة وأقاموا عليها منازلهم على اعتبار أنها مؤجرة من الكنيسة لمدة ٩٩ عامًا.

كشفت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الأرثوذكسي الذي يمثل المسيحيين العرب الروم الأرثوذكس في فلسطين والأردن في أبريل ٢٠١٤م عن قيام بطريرك الروم الأرثوذكس ثيوفيليوس الثالث بتحويل ملكية ٧١ دونمًا في منطقة مار إلياس الواقعة بين القدس وبيت لحم لشركة "طلبيوت" الصهيونية التي ستقيم عليها مرافق سكنية وتجارية وفنادق، وستحصل الكنيسة على ١٥% من ريعها، وحاول المتحدث باسم البطريركية عيسى مصلح نفي تعاون البطريركية مع السلطات الصهيونية للاسيلاء على الأوقاف بقوله: (إن الصفقة تمت لإنقاذ الأرض من الاستيلاء عليها، وأن بلدية القدس صبغتها باللون الأخضر تمهيدا لمصادرتها)، وأضاف أن البطريركية تهدف إلى تأمين ١٢,٠٠٠ وحدة سكنية لأبناء الرعية). لكن المؤتمر الأرثوذكسي كذب هذه الادعاءات وأكد على التحالف بين الصهاينة والبطريركية للاستيلاء على الأوقاف.[٢٦]

---

[٢٤] – عرب ٤٨

[٢٥] – شروف محمد أحمد عاشور، وفرج الله أحمد يوسف: المرجع السابق.

[٢٦] – عرب ٤٨

واعتصم المئات من أبناء الطائفة الأرثوذكسية في الأردن أمام كنسية الروم الأرثوذكس في منطقة الصويفية بعمان، احتجاجًا على سياسات بطريرك القدس والأردن ثيوفيلوس الثالث. وطالب المعتصمون بتعريب الكنسية من قبضة البطاركة اليونان، وقالوا: (أن البطريرك ثيوفيلوس يتعامل مع أراضي المقدسات في القدس وكأنها ملكه). [٢٧]

وجاء في دراسة أعدها بكر السباتين: (يعتبر المسيحيون الأرثوذكس كنيستهم في القدس أم الكنائس، فهي الكنيسة الأولى في التاريخ والتي أسست في القدس يوم العنصرة ومن هذا المكان المقدس انتشرت بشارة المسيح إلى كل العالم. وتعتبر هذه الكنيسة جزءٌ من الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية.

البطريرك الحالي لهذه الكنيسة هو كيريوس ثيوفيلوس الثالث وهو البطريرك الأرثوذكسي رقم ١٤١ على كرسي القدس، والبطريرك بموجب هذا قانون ١٩٥٨م هو الرئيس الأعلى للكنيسة الأرثوذكسية في الكرسي ألبطريركي المقدسي وممثلها ورئيس مجمعها المقدس ومجلسها المختلط ورابطة اتحادها مع الكنائس الأرثوذكسية المستقلة ويتمتع بالحقوق والامتيازات المذهبية وله الولاية العامة.

وتجيز المادة ١٢ من القانون للبطريرك امتلاك الأموال المنقولة وغير المنقولة وتسلم المبرات والوقفيات والتصرف بها بصفته المتولي من اجل أية غاية متصلة بصلاحيات البطريرك في المجلس أو بواجباته والإدعاء والدفاع باسمه لدى المحاكم والقيام بأي عمل تقتضيه صلاحياته وواجباته.

إذن ما هي جذور الأزمة التي وقعت فيها البطريركية!. فقد كانت الكنيسة الأرثوذكسية تمتلك ربع القدس القديمة البالغة قرابة كيلو متر مربع، كما تمتلك أراضي شاسعة، وأديرة، ومقابر، خارج البلدة القديمة في القدس، فضلاً عن عقارات في مدن فلسطينية كبرى، كانت ممتلكات أوقفها العرب المسيحيون في فلسطين حتى يستفاد منها لمصلحة الكنيسة خلال حقبة الإمبراطورية العثمانية، خوفاً من مصادرة هذه الأراضي واعتبارها أراضي دولة من قبل العثمانيين، ووفقاً لسجلات الكنيسة فإنها تمتلك نحو ١٨% من مساحة غربي القدس و١٧% من مساحة القسم الشرقي من المدينة، أي ٣٥% من المساحة العامة للقدس بشطريها.

ولكن ما جرى لهذه الأوقاف التي وهبتها الرعية العربية لكنيستهم، قد تم التصرف بها من قبل البطريرك اليوناني وفق صلاحياته القانونية خلافاً لحقوقهم الوطنية التي انتهكت من قبل البطريرك والذي أخذ يحجم الوجود البطريركي العربي في الكنيسة من أجل الحفاظ على سطوته بعيداً عن تداعيات القضية الفلسطينية التي تنتمي إليها الرعية المغبونة من قِبَلِهْ.

---

[٢٧] – عرب ٤٨

إذ إن قسماً لا بأس به من هذه الأملاك سُرّبت إلى اليهود المحتلين، عن طريق البيع أو الإيجار طويل الأمد لمدة ٩٩ سنة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، باعت الكنيسة الأرثوذكسية مقبرتها، وأراضي دير "مار سابا" في بيت لحم، وباعت أيضاً أراضي جبل أبو غنيم في القدس، التي تحولت إلى مستوطنة صهيونية كبيرة، باسم "هارحوما" لتكمل بذلك فصل القدس عن بيت لحم، وباعت أو أجّرت لأجل طويل أكبر مأوى لحجاج القدس من "المسكوب" أو أهل موسكو، وعليه يقوم اليوم معتقل المسكوبية سيء الذكر، وأراضي جبل أبي طور، وأخيراً ساحة عمر بن الخطاب في البلدة القديمة في القدس.

الحكومة الأردنية لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما يدور في الأوقاف المسيحية الخاضعة لها بموجب القانون؛ إذ قررت سابقاً في جلستها يوم السبت الموافق ٢٠٠٧/٤/١٢م سحب اعترافها بالبطريرك ثيوفيليوس الثالث لعدم وفائه بالتزاماته التي تعهد بها أمام الحكومة الأردنية خلال فترة عمله باسترجاع أملاك الكنيسة المهدورة من الكيان الصهيوني.

وكانت الحكومة الأردنية قد اشترطت في حينها على البطريرك ثيوفيليوس الثالث لمنحها اعترافها وثقتها؛ أن يعيد إلى أملاك الكنيسة ما باعه وأجره سلفه بطريرك الروم الأرثوذكس ايرينيوس في /مايو (أيار) ٢٠٠٥م من أوقاف كنيسة الروم الأرثوذكس لرجال أعمال يهود. وهو ما تعهد به البطريرك عندما تم تعيينه في هذا المنصب في أغسطس٢٠٠٥م.

وفي عشية الاحتفال بعيد الميلاد في نهاية سنة ٢٠١٤م.هتف أبناء الرعية العرب في الأردن وفلسطين داخل كنائسهم كلما ذُكر اسم البطريرك ثيوفيلوس خلال الصلاة:(ثيوفيلوس غير مستحق).

وكان قرار فصل الأرشمندريت خريستوفوروس عطا الله حنا من أخوية القبر المقدس هو السبب المباشر لهذا «العصيان»، إلا أن السبب الحقيقي يمكن فهمه انطلاقًا من المثل الشعبي: «القصة مش قصة رمانة، لكن القلوب مليانة»، ومن واقع أن ٥٠٠ سنة من السيطرة اليونانية على الكنيسة المقدسية كفيلة بملء قلوب الرعية الأرثوذكس في الأردن وفلسطين، تحريك حنينهم إلى بطريركية أنطاكية ذات الإدارة العربية.

حدث كهذا جرى قبل ما يقرب من مئة عام، عندما تم التوصل إلى تحقيق جزء معقول من المطالب الشرعية لأبناء الرعية العرب في عهد البطريرك دميانوس، وأهمّها تشكيل مجلس مختلط يضم أبناء الرعية الوطنيين ورجال الدين اليونانيين.

وبرغم أن هذه التسوية لم تحقق كامل مطالب أبناء الرعية العرب، إلا أن «المجمع المقدس» المكلّف من المطارنة ورجال الدين اليونانيين انقلب على هذا الاتفاق، وتم اتهام البطريرك اليوناني بمحاباة العرب وجرى عزله.

يومها واجه أبناء الرعية العرب هذه الخطوة بثورة، إذ شهدت كافة مدن فلسطين تظاهرات رفضت تصرفات «المجمع المقدس» اليوناني، وقد تواصلت تلك التظاهرات وسيطر العرب الأرثوذكس على دار البطريركية المقدسية، قبل أن تمتد تلك الانتفاضة لتشمل جميع المناطق، وتتم سيطرة «الثوار» على جميع الأديرة في العام ١٩٠٩م.

وبلغ هذا الحراك الأرثوذكسي يومها ذروته حين وقعت اشتباكات عنيفة بين المحتجين والقوى الأمنية العثمانية، ما أدى إلى مقتل أربعة شبان عرب أرثوذكس مقدسيين، فيما تم إبعاد العديد من زعماء الحركة الوطنية الأرثوذكسية إلى بيروت «مركز الولاية» آنذاك.

وأثمرت هذه المقاومة تشكيل «المجلس المختلط» السالف الذكر، والذي عقد أول اجتماعاته في العام ١٩١٠م. كما تمت إعادة البطريرك دميانوس إلى موقعه رغماً عن «المجمع المقدس» اليوناني.

هذا السقف يعتبر مرفوضًا حتى من الأب خريستفوروس نفسه، الذي رفض، في حديث إلى «صحيفة السفير» أن يكون هو القضية الرئيسة في تحرك الأرثوذكس العرب.

ويرفض الأب خريستوفوروس اتهامه هو وأبناء الرعية العرب بأنهم يعادون الإدارة اليونانية لأنها إدارة غير عربية فقط، ويشير إلى أنه سبق أن كتب إلى وزير الداخلية الأردني حسين المجالي يشرح له ظلم القرار الذي اتخذه البطريرك اليوناني ثيوفيلوس في شهر أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٤م بتجريد الأرشمندريت ذوسيثيوس من الكهنوت، وذوسيثيوس إنما هو يوناني، لكن الأب خريستوفوروس مؤمن أن خطوة تجريده من الكهنوت تخالف القوانين الكنسية.

وبالعودة إلى موضوع تعريب الكنيسة فإن جميع المنضوين تحت راية رفض السياسات اليونانية في كنيسة الروم الأرثوذكس على اختلاف توجهاتهم وأيديولوجياتهم يؤكدون أنهم ليسوا ضد فكرة الإدارة اليونانية، لكنهم ضد سياسات تهمّش الرعية وتطلق يد البطريرك، وبالتالي تمكنه من ارتكاب الممارسات غير الوطنية، إذ يعتبر كثيرون أن بطريركًا عربيًا غير وطني سيبقي على تلك السلوكيات ما لم يتم تفعيل القانون الكنسي، لذا فإنهم وعندما يصرخون «ثيوفيلوس غير مستحق» إنما يرفضون كل السياسات التي يرون أن البطريرك ثيوفيلوس يمثلها ويقوم بها.

وربما يتعاظم طوفان الرفض هذا بحسب المراقبين، في حال أخذ الكهنة قرارًا رسميًا بحذف اسم البطريرك من الصلوات، فحينها ستتعاظم أزمة الكنيسة، وستجد نفسها مجبرة على سماع صوت أبناء الرعية المهمشين.

ولكن قبل التنبؤ بمستوى التصعيد، وقدرته على التغيير، لابد من الإشارة إلى أن المسألة الأرثوذكسية في المنطقة العربية كانت محكومة على الدوام بالظرف السياسي، فلولا الحضور الروسي في نهاية القرن التاسع عشر لما تمكنت بطريركية أنطاكية من التحرر من الهيمنة اليونانية... فهل الظرف السياسي والكنسي اليوم قريب من ذلك الظرف؟

وعلى الجانب العربي يعد القس جبرائيل نداف. من أبرز المتعاونين مع الصهاينة وهو يدعو لتجنيد العرب المسيحيين في جيش الاحتلال، ولما زاد تعاونه مع سلطات الاحتلال حاولت الكنيسة الأرثوذكسية التخلي عنه فصرح عيسى مصلح الناطق باسم الكنيسة ، بأن نداف جرّد من جميع مسؤولياته الكَنَسية وتم عزله من عمله كراعي لكنيسة يافة الناصرة، وذلك في مايو (أيار) ٢٠١٤م، لكن رئيسة لجنة الداخلية في الكنيست، ميري ريغيف أرسلت له رسالة في السابع من مايو (أيار) ٢٠١٤م جاء فيها: (بخصوص ما نشر عن إقالتك أود أن أبلغك بأن الأمر عار عن الصحة. وذلك بعد أن قام رئيس فرع الأديان غير اليهودية في وزارة الداخلية، يعقوب سلامة بالاجتماع مع البطريرك ثيوفيلوس الثالث، بطلب مني، للاستفسار حول صحة الأنباء، وأود أن أشد على يدك، وواصل العمل وفق حقيقتك من أجل الوسط المسيحي ودمجه في المجتمع الإسرائيلي).[٢٨]

وأعلنت هيئات وشخصيات مسيحية في مدينة الناصرة ومدن أخرى رفضها المطلق لدعوة وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى تجنيد الشبان العرب المسيحيين في الجيش الإسرائيلي، وذلك في أعقاب مؤتمر خاص عُقد لهذه الغاية، وبادرت وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى عقد المؤتمر في مدينة الناصرة العليا المجاورة لمدينة الناصرة تحت رعاية رئيس البلدية شمعون جابسو، وبمشاركة ثلاثة رجال دين مسيحيين ومسئولين في سرايا كشفية من الناصرة ومنطقتها.

ونددت الهيئات والشخصيات العربية المسيحية "بمبادرة وزارة الدفاع ومشاركة الكهنة العرب المسيحيين في هذا المؤتمر"، وحتى أن مجلس الطائفة العربية الأرثوذوكسية في الناصرة أعلن (الحرمان بحق الكاهن جبرائيل نداف، الذي كان أحد المشاركين في مؤتمر تشجيع تجنيد الشبان المسيحيين في الجيش لإسرائيلي).

وقال نداف في مقابلة أجراها معه موقع "العرب" الالكتروني نشرت في ٣٠ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٢م: (إذا سألني الشباب المسيحي حول تجنيدهم فإنني لا أعطي رأيي بالمرة ولا أنطق بكلمة لأنني لا أستطيع أن آخذ المسؤولية ... لن أؤيد أو

[٢٨] – عرب ٤٨

أعارض التجّنيد فأنا أحترم حرية اختيار الشباب لأنهم يعرفون الواقع الذي يعيشونه وليسوا بحاجة إلى أن نفرض عليهم مستقبلهم)

وأصدر مجلس الطائفة العربية الأرثوذكسية بيانًا فرض من خلاله الحرمان على الكاهن جبرائيل نداف من الناصرة ومنعه من مزاولة الكهنوت داخل الكنيسة في الناصرة لمشاركته في مؤتمر لتجنيد الشبان المسيحيين في جيش الاحتلال ومشاركته وزارة الحربية الإسرائيلية و رئيس بلدية الناصرة العليا شمعون جابسو مؤتمرًا شارك فيه ثلاثة رجال دين مسيحيين وبعض المسئولين في سرايا كشفية من الناصرة والمنطقة.

ووزّع مجلس الطائفة بيانًا على وسائل الإعلام جاء فيه تأكيد على عروبة المسيحيين وعلى أنهم: (جزء لا يتجزأ من أبناء شعبهم الفلسطيني وأنه في الوقت الذي تتعالى فيه أصوات أبناء الطائفة العربية الدرزية لرفض الخدمة في جيش الاحتلال الإسرائيلي، وآخرها رسالة الشاب عمر زهر الدين سعد الذي رفض أمر الخدمة الموجه له من قبل وزارة الدفاع، تتعالى أصوات النشاز من قبل بعض المرتزقة لتجنيد أبناء الطوائف المسيحية لخدمة جيش الاحتلال تحت شعارات فارغة منها حماية الأقلية المسيحية حسب تعبيرهم ... إن موقفنا كان وما يزال يؤكد على حقيقة واحدة ووحيدة، وهي أن المسيحيين العرب في البلاد هم جزء لا يتجزأ من أبناء شعبهم الفلسطيني، الباقون في وطنهم، وحمايتهم هي كحماية سائر أبناء شعبهم في البلاد، من سياسة التمييز القومي التي تتبعها الحكومات وسائر أذرع المؤسسة الحاكمة في إسرائيل، وكل دعوات مشبوهة لغير ذلك، تهدف إلى التفرقة العنصرية المقيتة، واختلاق احتراب داخلي لضرب المناعة الوطنية، الكفيلة في مواجهة السياسة العنصرية، وسياسة الاقتلاع، لأن بتفريقنا نصبح لقمة سائغة في فم السلطة الحاكمة ... إن مجلس الطائفة العربية الأرثوذكسية يطالب المجتمع النصراوي "نسبة إلى مدينة الناصرة" وسائر أبناء شعبنا، بمقاطعة كل المشاركين في هذا المؤتمر المعيب كانوا من كانوا، أما على مستوى من شاركوا باسم طائفتنا ذات التاريخ الوطني العريق على مدار عقود من الزمن وأولهم الكاهن جبرائيل نداف الذي لم يعد كاهنا للطائفة منذ أكثر من عامين، وهو لا يمثل الطائفة لا من قريب ولا من بعيد كما ظهر اسمه في نص الدعوة للمؤتمر إياه، فقد حذّره المجلس من مغبة استخدام اسم الطائفة، في محاولة للإدعاء بأنه كاهن الطائفة في الناصرة).

وجاء في البيان: (لن يسمح لكائن من كان أن يزج اسم الطائفة العريقة بالمؤامرة التي تحاك ضد أبناء شعبنا ككل، إن كان من خلال دعوات لخدمة جيش الاحتلال أو الدعوة والترويج لما يسمى بـــ "الخدمة المدنية" البديلة للخدمة العسكرية المرفوضة أصلاً. إننا لن نسمح بتلطيخ اسم الطائفة ومواقفها الوطنية أو استخدامه كأداة لتفرقة أبناء الشعب الواحد).

وتوجه مجلس الطائفة العربية الأرثوذكسية إلى الشباب والشابات العرب عامة، والمسيحيين خاصة كونهم يواجهون محاولة تجزئة سلطوية، إلى صد هذه الدعوات المشبوهة ودحرها، وإعادتها إلى أوكارها، فإسرائيل الرسمية تحاول من جديد تطبيق ما فشلت به في الماضي، حينما سعت إلى تجنيد المسيحيين العرب، ولم تجد من يوقع لها على ما تريد، ومن البديهي أنها لن تجد اليوم ما لم تجده في الماضي رغم هذا النفر الذي لا يمثل إلا نفسه.

كما توجه مجلس الطائفة إلى الأهالي لإبداء روح اليقظة تجاه أبنائهم، كي لا يكونوا ضحية نهج تضليل وجرهم إلى متاهات مسيئة من هذا القبيل، كما هو حال اليقظة لمنع سقوط أبنائنا في الآفات الاجتماعية.

وأصدرت مجموعة من الجمعيات والمؤسسات الفلسطينية في الأراضي المحتلة سنة ١٩٤٨م البيان التالي:

(علمنا أنّ جيش الاحتلال الإسرائيلي يقوم بحملة مكثفة في مدينة الناصرة والمنطقة تهدف إلى ضم العشرات من شبابنا، من أبناء الطوائف المسيحية تحديدًا، للخدمة العسكرية. ووفق المعلومات فقد عُقد في تاريخ ٢٠١٢/١٠/١٦م اجتماع في الناصرة العليا "نتسيرت عيليت"، تحت يافطة دينية، لعشرات الشبان والشابات بهدف ترويج الفكرة بينهم. حضر الاجتماع ضباط من الجيش الإسرائيلي بالإضافة إلى رجال دين ومندوبين عن بعض السرايا الكشفية وسعى القائمون على الاجتماع الى توريط شبابنا في هذا المخطط وإغرائهم بمنح تقدم للمنخرطين في المشروع.

تم في الاجتماع ترويج الحملة للشباب عن طريق إغراءات وذرائع خطيرة وبلهجة طائفية مشبوهة وبغيضة.

استمراراً لهذا المخطط القذر قام القائمون على هذا المخطط بتنظيم جولة لعشرات الشباب والشابات من الناصرة والمنطقة تحت مسمى "في أعقاب المحاربين" لتسميم عقول الشباب وحثهم على الالتحاق في الخدمة العسكرية.

أصبح واضحا للجميع أن موجة إثارة العنف والسلاح وحوادث الإجرام والتغطية عليها من قبل المؤسسة الإسرائيلية تهدف بشكل أساسي إلى إشعار أهلنا بغياب الأمان وأصبح واضحا أن إثارة النعرات الطائفية لتمزيق مجتمعنا لتسهل تقبل شبابنا لفكرة الجيش الإسرائيلي، لكي نصبح في نهاية الأمر عائلات وطوائف متناحرة نتقاتل فيما بيننا ونزرع الموت في بلداتنا، لصرف اهتمامنا عن مهامنا النضالية والفاشية المتفشية التي تتجه دولة إسرائيل نحوها بوتيرة متسارعة.

نحن الشباب نعد بفضح كل من تسول له نفسه التواطؤ مع هذا المخطط القذر لسلخ جماهيرنا العربية عن تاريخ أجدادها وجذورها. كلنا في خندق واحد في مواجهة هذا المشروع وليس أمامنا إلا الوحدة والتكاتف لنفشل هذه المؤامرات التي تُحاك ضد أبناء شعبنا ونؤكد على اعتزازنا بانتمائنا لشعبنا الفلسطيني ولن نرضى بنزع

هذا الانتماء عنا. هنا باقون على أرض الآباء والأجداد ونحن حجارة الوادي ونتنفس هواء هذه البلاد ليس بمنة من أحد وإنما كحق مقدس من حقوقنا ونؤكد أن حمايتنا لن تأتي من أفراد أو جماعات، بل من انتمائنا لشعبنا.

علينا جميعا كأفراد وأحزاب وجمعيات ومجتمع التصدي لهذا المخطط، لذا نرفع صوتنا عاليا ونطالب عدم التستر على القائمين على هذا المخطط وكشفهم أمام الشعب. كما وندعو لجنة المتابعة وكافة الأحزاب السياسية والأطر الاجتماعية والدينية ومؤسسات المجتمع المدني لأخذ دورها في مواجهة هذه المؤامرة). [٢٩]

ويقول علي حتر : (إن ثيوفيلوس باع أرضاً من الوقف الأرثوذكسي مجاورة لمستوطنة أبو غنيم، وقد بدأ الإسرائيليون البناء عليها لإنشاء مستوطنة جديدة تحمل اسم «تل بيوت»، أما الموقف الأردني غير المفهوم حيال القضية الأرثوذكسية لا يتوقف عند هذا الحد، فبالرغم من أن البطريرك اليوناني يدير ظهره للأردن تمامًا، تأتي الحكومة الأردنية وتتدخل في شؤون الطائفة الأرثوذكسية، فتطلب من الارشمندريت خريستوفورس حنا عطاالله أن ينفذ أوامر البطريرك ثيوفيلوس الذي أصدر قرارًا بنقل خريستوفورس من دير دبين في محافظة عجلون الأردنية إلى القدس ما أثار احتجاجاً حاداً لدى أبناء الطائفة في المملكة، لكونهم اعتبروا أن هذه الخطوة تخفي نيات إغلاق المعهد الذي أنشأه خريستوفورس في دير دبين، أو وضع مَن هو غير مؤهل لقيادته، ويتطلع أبناء الطائفة إلى أن يصبح هذا المعهد على المدى البعيد جامعة تدرّس اللاهوت بدلاً من أن يسافر الراغبون في تلقي التعاليم اللاهوتية إلى لبنان أو اليونان.

ويؤكد علي حتّر: (أن اتفاقية تخزين الغاز القبرصي والغاز الفلسطيني الذي تسرقه إسرائيل في اليونان لضرب الغاز الروسي في أوروبا سيجعل من وقوف اليونان ضد البطريرك لمصلحة الرعية العرب الرافضين لتهويد الأرض العربية أمرًا مستحيلاً، مذكّرًا بأهمية اتفاق الغاز لليونان التي تعيش ضائقة مالية). [٣٠]

[٢٩] – شروق محمد أحمد عاشور، وفرج الله أحمد يوسف: المرجع السابق.

[٣٠] – رانية الجعبري، صحيفة السفير، ٢١ أكتوبر ٢٠١٤م

- المراجع:

- الكتاب المقدس، العهد الجديد.

- شروق محمد أحمد عاشور، وفرج الله أحمد يوسف: المقدسات والأوقاف المسيحية في فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني (كتاب المؤتمر السابع عشر لاتحاد الآثاريين العرب، القاهرة ٢٠١٤م)

- عمر اغبارية، ورنين جريس: ذاكرة إقرث (القدس ٢٠١٠م)

- فرج الله أحمد يوسف: اغتصاب تاريخ فلسطين وآثارها (كتاب المؤتمر الثامن لاتحاد الآثاريين العرب، القاهرة ٢٠٠٥م).

- وليد الخالدي وآخرون: كي لا ننسى، قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨م وأسماء شهدائها (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثالثة، بيروت ٢٠٠١م)

- صحيفة السفير اللبنانية.

- عرب ٤٨.

- فلسطينيو ٤٨.

- لجنة أهالي إقرث.

- لجنة أهالي كفر برعم.

Churches Palestinian villages Under Zionist Ooccupation Iqrith and Kafr Bir'm

Prof. Shrouk M. A. Ashour
Dr. Faraj Allah A.Yousef

Abstracte:

Find reviews what happened to the villages Iqrith, and Kafr Bir'm close to Churches since the establishment of the State of Israel.

Also monitors the ongoing violations of the two villages.

Monitors Find steadfastness of the people at the villages throughout the period from 1948 until now.

It was the expulsion of the people of the two villages since 1948 and Israeli authorities prevent their return to their homes.